وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر
عن قسم الفلسفة/كلية الآداب
Biannual Journal
الترقيم الدولي ISSN : 1136-1992

العدد العشرون
أيلول ٢٠١٩

مجلة الفلسفة
العدد ٢٠

الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على المعرف الدولي Doi
تحت رقم prefix :10.35284

العدد العشرون

٢٠١٩

رئيس التحرير

أ.د.حسن مجيد العبيدي

الهيأة العلمية الاستشارية

١- أ.د. أدونيس عكرة/رئيس المركز الدولي لعلوم الانسان/اليونسكو/لبنان.

٢- أ.د. الطاهر بن قيزة /جامعة تونس الاولى /تونس.

٣- أ.د. عمر بوساحة / جامعة الجزائر /الجزائر.

٤-أ.د.محمد الشيخ/جامعة محمد الخامس/المغرب.

٥- أ.د.اشرف منصور / جامعة الاسكندرية /مصر

٦-أ.د.عماد الدين عبد الرزاق/جامعة بني سويف/مصر.

٧- أ.د. حسون عليوي السراي/الجامعة المستنصرية /العراق

٨-أ.د.عبد الكريم سلمان الشمري/جامعة بغداد/العراق.

٩- أ.د. جميل خليل المعلة /جامعة الكوفة /العراق.

١٠-أ.د. عبدالله محمد علي الفلاحي/جامعة إب/اليمن.

البريد الالكتروني

art.phi_magazine@uomustansiriyah.edu.iq

مدير التحرير

أ.د.عارف عبد فهد

كلية الآداب -المستنصرية

سكرتير التحرير

م.م. أسماء جعفر فرج

كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي

م.د.منار صاحب

كلية الآداب/المستنصرية

تنضيد

م.م.أثير محمد مجيد

المحاسب المالي

رنا حسين عباس

المسؤول على موقع DOI

المهندسة

ريهام ماجد عبد الكريم

الترقيم الدولي:Issn (١٩٩٢-١١٣٦)

فهرست بدار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

تصميم وطباعة

مكتب الإثير

للنشر والطباعة

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

العدد
العشرون
أيلول
٢٠١٩

المحتويات

كلمة رئيس التحرير

محور الفلسفة الحديثة والمعاصرة

١-فلسفة الدين في الفكر الغربي المعاصر وليم جيمس إنموذجا)*	أ.د. حسن مجيد العبيدي	٣-٢٠
٢-فلسفة الرياضيات برؤية تكاملية الاتصال والانفصال	أ.م.د. كريم موسى حسين	٢١-٥٠
٣-جدلية التنبؤ عند كارل بوبر وإثرها على الفلسفة المعاصرة	م. د. علاء كاظم مسعود	٥١-٧٢

محور الفلسفة الإسلامية

٤-السِّيرةُ الذاتيَّةُ الْفَلسفيَّة وأبرزُ سماتِ الفيلسُوف	د. محمود سعيد حميدة عطية	٧٥-١١٢
٥- Muhammad On Ego,Experience and Life Conception Iqbal Religious	Dr. Rawaa Mahmoud Hussain	١١٣-١٣٤
٦-أثر الدراسات الاستشراقية في الخطاب الأركوني حول التراث	د.فريدة أولمو	١٣٥-١٤٨

محور الدراسات الأخلاقية والجمالية

٨-الأخلاق القانوني أم القانون الاخلاقي؟ (دراسة تحليلية في ضوء فلسفة القانون)	م. رقوا كاكة رقش سيد مينة م. سةردار مةلا عزيز	١٥١-١٧٠
٧-حوار الدلالة والمعنى في الفكر السيميائي بين البنيوية ومابعدها	م.م. زينة عواد عبد الله	١٧١-١٨٤

محور الدراسات النفسية والاجتماعية

٩-الكفاح الروحي الديني لدى طلبة الجامعة (الكفاح الإلهي ، الصراع الديني ، المخاطر الروحية)	أ.د. سعد عبد الزهرة الحصناوي م.م. فراس محمود عطية	١٨٧-٢١٢
١٠-التحرر من الالتزام الخلقي وعلاقته بالشعور بالخزي	أماني صالح زناد اشراف أ.م.د.ابتسام لعيبي شريجي اللامي	٢١٣-٢٣٨
١١- أثر التنوع الاجتماعي على فكرة الدولة العربية الحديثة دراسة سيسيولوجية في فلسفة الدين والقبيلة	أ.م.د. مشحن زيد محمد التميمي	٢٣٩-٢٥٢
١٢- تطور اتخاذ القرار لدى المراهقين والراشدين	أ.م .د أسيل مهدي نجم	٢٥٣-٢٧٨

قبس العدد

١٢-التفكير الإبداعي وفق فرضعة الخضراء للمنظر ديبونو (De BONE) لدى طلبة المدارس المهنية	ا.م .د.أحلام لطيف علي الموسوي	٢٧٩-٣٠٨

نص مترجم

١٣- نظريات الروح مقابل المعرفة الطبية: ابن رشد بوصفه مؤثرا في فرنسا في القرن الثالث عشر	هيذر ثورنتون ماكراي - جامعة ميسوري ترجمة: أ.م.د رحيم الشياع الساعدي	٣٠٩-٣١٨

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة
ص.ب:١٤٠٢٢
تلفون:٤١٦٨١١٩٨
Email:
art.phi_magazine@uomustansiriyah.edu.iq

جدلية التنبؤ

عند كارل بوبر وإثرها على الفلسفة المعاصرة

م. د. علاء كاظم مسعود*

الملخص

مسألة التنبؤ من المسائل المحكمة التعقيد لاختلاف وتشعب العمل بها, إذ تعد مسالة الصدق فيها من اهم معايير التي يجب اتخاذها ومطابقتها مع الواقع لذلك اختلف كارل بوبر مع الوضعيين المناطقة بما جاء به من قابلية التكذيب والبحث على ما يفند القضايا والملاحظات والابتعاد عن التعزيزات او ما بثبت النظرية, اذ وجد بوبر اهمية التنبؤ من المبادئ التي يسير فيها من الحتمية ونسبة الاحتمال في استقراء الملاحظات والخروج بعدها بقانون يفسر عمل التطور والتقدم في العلوم الطبيعية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية

تنبؤ– حتمية– احتمال– استقراء.

Abstract:

The issue of prediction is one of the complicated closed issues due to divergence and difference in dealing with it. Validity is considered one of the important criterion to followed and matched with reality, So Carl was different with the situations for what he stated the falsifiable and searching what disprove issues and remarks and keeping away of supporting or what confirm the theory. Popper found that prediction is one of the principles leads to decidedness and the possibility to read remarks and come up with a low that interpret progress and development function in Natural and Social Sciences.

المقدمة– تكونت فلسفة بوبر رداً على الحتمية التي هيمنت على فلسفة هيجل وماركس وقبلهم افلاطون من وجود قوانين تحكم المستقبل, فاذا لم نتفحص الماضي بصورة دقيقة ولا نحيط بتفاصيل الحاضر, وإن الكثير من الاشياء والحقائق لم ندركها, كيف اذن يمكن أن نحكم على المستقبل, أو من وضع احكام مسبقه تحدده, هذا ما رفضه بوبر ورد عليه من خلال فلسفته العقلانية النقدية.

* **جامعة واسط– كلية الآداب– قسم الفلسفة**

اخذ التنبؤ بالمستقبل حيز كبير من اهتمام الفلاسفة والعلماء على اختلاف تخصصاتهم, فالتنبؤ العلمي يختلف عن تنبؤات الفلاسفة أو رجال الدين, وهذا يعتمد على تعريف التنبؤ وتميزه عن مفهومات اخرى, بالتداخل معه مثل نظرية الاحتمال أو الاستقراء, لذلك نعمل على تمييز حدود كل منهما وصولا الى النتيجة التي تضمن تمييز التنبؤ العلمي عن التنبؤ في العلوم الانسانية في محاولة لاستشراف المستقبل.

إن دراسة التنبؤ من اولويات دراسة المستقبل بكونه جزء من كينونة الوجود من جانب وهو يدخل في حيثيات الزمان الذي تهتم به الفلسفة, فالمستقبل ليس ضرباً من الخيال فهو جزء من الحاضر بما يمكن أن تحققه نتائج النظريات العلمية ومحاولة تفسيرها للظواهر الطبيعية .

التساؤل الذي يتمحور البحث حوله هو هل يمكن التنبؤ بالمستقبل وعلى أي نوع من الأسس أو المبادئ يمكن يكون بعد أن نبين رأي بوبر في رفض التنبؤ التاريخي, وهو بذلك يرفض الاعتماد على احداث التاريخ من أن تكون مقدمات للتنبؤ وهذا واضح من خلال رفض تطبيقات المذهب التاريخي, لكن بعد تفنيد صحة التنبؤ التاريخي هل يوجد تنبؤ علمي؟ فاذا ما اخذنا رأي بوبر في إمكان التنبؤ واستحالته وهو كالاتي:-

يقوم برهان بوبر على "إن المتنبئ العلمي – سواء كان عالماً من البشر أو آلة حاسبة- لا يمكنه, بالطرق العلمية, أن يتنبأ بما سيصل اليه من نتائج في المستقبل. والمحاولات التي يبذلها في التنبؤ لا يمكن ان تبلغ الى نتيجتها إلا بعد حدوث هذه النتيجة, اي بعد أن يكون الوقت قد فات على التنبؤ. وبعبارة أخرى, لا تصل هذه المحاولات الى نتيجتها إلا بعد أن يكون التنبؤ قد استحال الى مجرد تقرير لما وقع في الماضي"(بوبر، 1992, ص9-8).بذلك هل تنتفي الحاجة الى بحث التنبؤ؟ وهو محل الدراسة, هذا ما يتم الاجابة عليه في ثنايا هذه البحث.

اولاً- الخطوط العامة لفلسفة كارل بوبر- تتمركز فلسفة بوبر على محورين تشكل جُّل فلسفته وهما الابستمولوجيا ومنها فلسفة العلم والفلسفة السياسية, والاشكالية المشتركة بينهما هو مبدأ الدحض أو التكذيب. للتمييز بين ما هو علمي وما هو زائف. وفي الفلسفة السياسية للتمييز بين المجتمعات المغلقة التي تِحد من حرية الفرد, والمجتمعات المنفتحة أو المجتمع المفتوح الذي يعمل على قبول الاخر ومنها بناء الحريات.

تقترن معرفة فلسفة العلم في تحديد العلاقة بين تاريخ العلم وفلسفته, التي هي من مهام الفلسفة سواء في حقل العلم أو التاريخ," إن فلسفة العلم أصبحت لا تنفصل عن الابعاد التاريخية لظاهرة العلم فغدت شديدة العناية بتاريخ العلم, بحيث ان المتابع لتطورات فلسفة العلم في القرن العشرين يلاحظ أن أبرز ما أسفرت عن هذه التطورات هو حلول الوعي التاريخي في صلبها"(الخولي، 1978, ص10), فكانت مهمة بوبر تمييز

الوهم الذي يحمله الحقل التاريخي الذي اصبح من مسلمات العلم فيما بعد كما هو في التمييز بين انواع التنبؤ.

لذلك نجد عرض الدراسة على مستويين: المستوى الاول من خلال عرض التنبؤ والجوانب المختلفة فيه, والمستوى الثاني من خلالعرض النظريات والأيدولوجيات التي ترتكز على التنبؤ أو ترفضه, مثل ما هو عند ادغار موران, الذي تصور المجتمع المفتوح الذي دعا اليه بوبر بالسير نحو الفوضوية وتحكمه نظرية الكوسما أو الفوضى ومن ثمة لا يمكن التنبؤ بأحداثالمستقبل,على ضوء ذلك نبدأ هذه الدراسة في بيان التنبؤ العلمي تمييزاًعن الانواع الاخرى من التنبؤات وعلاقة التنبؤ بالنظريات والمفاهيم العلمية التي يتداخل البحث فيها مع التنبؤ, وبيان الفرق بين كارل بوبر والفلاسفة المعاصرون.

التنبؤ التاريخي– يرفض بوبر التنبؤ بالمستقبل على أساس ما جاءت به فلسفة التاريخ التي اقامها كل من هيجل وماركس على التنبؤات, أن التاريخ بنظره, "ليس تياراً متصلا ينساب امامنا. يمكن ان نتنبأ بالمستقبل, نعم يمكننا إن نتعلم منه لا أن نتنبأ به, فالمستقبل ليس امتداد للحاضر, وهذا ما لاحظه بوبر من تنبؤات ماركس في أنها لم تصل الى غاياتها في الاشتراكية وما انهيار الاتحاد السوفيتي إلا دليل على ذلك"(بوبر، 1994,ص16), يمكن ملاحظة ذلك من تاريخ العلم سيما الفيزياء المعاصرة وما طرا عليها من تغيرات متسارعة وكذلك الاحداث السياسية والاجتماعية تبين إن التاريخ لا يسير بخطى ثابتة أو واحدة, ويمكن البحث في ذلك من خلال نقد بوبر للمذهب التاريخي أو التاريخانية.

يدخل رفض التاريخانية ضمن مشروع بوبر نحو المجتمع المفتوح واعدائه, كما هو في عنوان كتابه الذي يحمل نفس العنوان في رفضه لكل الأيدولوجيات المنغلقة الذي تجعل مسار حتمي للتاريخ, أن "التقدم والتطور يكون وفق هذا المسار كما هو في فلسفة كل من افلاطون وماركس وهيجل الذي نقدهم بشدة, إذ ينقد فيه الاتجاه الفلسفي المعتقد في مسار محتوم للتاريخ, الذي يرى إن وظيفة العلوم الاجتماعية هي التنبؤ بهذا المسار. وواضح إن المجتمع المغلق يستند على الدعوى بمسار محتوم للتاريخ ويريد إن يغلق البحثعلى اساس حدود هذا المسار".(الخولي، 2000, ص18).

فالتاريخانية تفرض على العلوم الاجتماعية مهمة صياغة تنبؤات ذات طابع تاريخي من أجل تفعيل سياسة عقلانية, لكن كارل بوبر يرد (يرفض) فكرة إمكانية أن تكون هناك قوانين للتاريخ, وعلى الخصوص فكرة قانون للتقدم(دوريتي، 2009, ص318–317), هذا اذا ما عرفنا التاريخانية بأنها: "طريقة في معالجة العلوم الاجتماعية بافتراض التنبؤ التاريخي وفق ما يمكن أن يحدث والوصول الى غاياتها الرئيسية بالكشف عن القوانين أو الاتجاهات أو الانماط أو الايقاعات التي يسير التطور التاريخي وفقاً لها"(بوبر، 1992

ص13), في محاولة ليس لفهم قوانين التطور فحسب بل للسيطرة على المستقبل من خلال تحديده في هذه القوانين والاتجاهات ومن ثم رفض أي اطار اخر لفهم المستقبل, وهذا جل فلسفته في نقد المذاهب المغلقة التي تلغي عمليات التفكير, ومن ثمة السيطرة على المجتمع من خلال هذه الأيدولوجيات المنغلقة التي يذهب ماركس الى دعمها وقبله افلاطون. لذلك جاءت فلسفة بوبر في اغلب كتبه ومنها المجتمع المفتوح للخروج من هذه الافكار ولأيدولوجيات الشاملة.

يتساءل بوبر, هل في مقدور اي علم اجتماعي أن يجري مثل هذه التنبؤات التاريخية الشاملة؟هل في مقدورنا أن نتوقع الحصول على اكثر من اجابة من عراف اذ سألناه ما قد يخبئه المستقبل للجنس البشري ؟

يذهب بوبر الى قناعة بأن مثل هذه التنبؤات التاريخية الشاملة انما تقع كلية خارج نطاق المنهج العلمي. فالمستقبل يعتمد علينا, ولسنا معتمدين على اية ضرورة تاريخية. وبذلك, هل بالإمكان تأسيس فلسفة اجتماعية على اساس هذه النبوءات؟ الاجابة تكمن في وجود فلسفات اجتماعية مؤثرة تتمسك بوجهة النظر المقابلة التي تزعم من أن الانسان يحاول ان يستخدم عقله للتنبؤ بحوادث وشيكة الوقوع, ذلك أن من المشروع بالتأكيد بالنسبة الى رجل استراتيجي أن يحاول التنبؤ بنتيجة معركة, وأن الحدود بين تنبؤ مثل هذا وعدد من التنبؤات التاريخية الشاملة أكثر إنما هي حدود مانعة(بوبر، 1998, ص11).

ينفي بوبر امكان التنبؤ التاريخي على أي أسس مهما كانت من خلال تفنيد المذهب التاريخي الذي يختصره في قضايا الخمس الاتية(بوبر، 1992, ص8):

1- يتأثر التاريخ الانساني في سيره تأثيرا قوياً بنمو المعرفة الانسانية.
2- لا يمكن لنا, بالطرق العقلية أو العلمية, أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية.
3- إذن فلا يمكننا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الانساني .
4- وهذا معناه أننا يجب أن نرفض إمكان قيام تاريخ نظري, أي إمكان قيام علم تاريخي اجتماعي يقابل علم الطبيعة النظري, ولا يمكن أن تقوم نظرية علمية في التطور التاريخي تصلح أن تكون أساسا للتنبؤ التاريخي.
5- إذن, فقد أخطأ المذهب التاريخي في تصوره للغاية الأساسية التي يتوسل إليها بمناهجه, وبيان ذلك يتداعى المذهب التاريخي.

يستمد بوبر دليله على عدم صحة التنبؤات وخطأها من تفنيد التنبؤ التاريخي في تداعي مناهجه وخطواته التي يتبعها, إذ رفض بوبر التنبؤ على اساس الاحداث التاريخية في فصل المستقبل عن الماضي, " إن التصرف الوحيد الصحيح هو أن ننظر للماضي

نظرة مختلفة تماماً عن المستقبل, إذ يجب أن نقيم حوادث الماضي من الناحيتين التاريخية والاخلاقية لكي نتعلم ما هو صحيح من الناحية الاخلاقية, دون أن نحاول على الاطلاق التنبؤ بالمستقبل انطلاقا من ميول واتجاهات الماضي"(بوبر ,1994, ص284).

لكن, ما هو الهدف من التنبؤ بالمستقبل؟ نستنتج انه ينبغي التعامل الصحيح أو الافضل في النظر الى الاحداث, «ما يخص المستقبل فلا يجب أن نتنبأ به ولكن نحاول فقط أن نتصرف بصورة صحيحة وبصورة مسئولة من الناحية الاخلاقية. يتحول هذا الى واجب أن نتعلم رؤية الحاضر بصورة صحيحة وليس من خلال النظارات الملونة للايدلوجيا. يمكننا أن نتعلم من الواقع ما يمكن أن نحققه»(بوبر ،١٩٩٨,ص٢٨٥).

من لا يعرف شيئاً عن المستقبل ومن ثم لا يتنبأ باي شيء– متفائل. أزعم انه يجب علينا أن نفصل بين حاضرنا الذي يمكن بل ويجب أن نحكم عليه وبين المستقبل المفتوح الذي يمكننا التأثر فيه. من هنا فإن علينا التزاما أخلاقيا أن نتعامل مع المستقبل لا على انه امتداد للماضي والحاضر, فالمستقبل المفتوح يتضمن امكانيات اخلاقية غير محدودة ومختلفة تماما. من هنا يجب أن يحكم موقفنا الاساسي السؤال ماذا يحدث؟ ولكن السؤال, ماذا يجب أن نفعل لكي نجعل عالمنا افضل قليلاً بقدر الامكان من عمل التنبؤ(بوبر ، ١٩٩٤,ص٢٨١).

وبذلك يحدد بوبر مهمة العلم بصفة عامة هي اجراء تنبؤات, أو الاحرى, تحسين تنبؤاتنا اليومية, وترسيخها على أساس أكثر أماناً, وأن مهمة العلوم الاجتماعية, بصفة خاصة هي تزويدنا بنبوءات تاريخية طويلة الأجل وأن اصحاب التاريخانية تمكنوا من الاقتناع بالوهم الذي يجعل قوانين للتاريخ وللتقدم من خلالها يمكن أن تحدث التنبؤات.

مهمة العلم الاساسية تتوقف على الغوص فيما يمكن حدوثه وتوقع ذلك الحدوث اما ما يمكن ادراكه هذا ما عرقل تقدم العلم او بالأحرى اذا توقعنا ما يحدث هل يتوقف العلم عند لحظة التوقع وهذا ما هو محل جدل كما سنلاحظ مع اولريش بيك, الا إن ذلك ليس سببا في عدم قيام نوع اخر مثل التنبؤ الاجتماعي.

1. التنبؤ الاجتماعي – يعمل التنبؤ الاجتماعي على رسم الاحداث السياسية والاجتماعية, وانه لابد ان يكون أمرا عسيرا جداً (كما يدعي اصحاب المذهب التاريخي), لا بسبب تعقد الأبنية الاجتماعية فحسب، بل أيضاً بسبب ذلك التعقد الخاص الناشئ عن تبادلالتأثير بين التنبؤات والحوادث المتنبئ بها. الا إن ذلك التأثير قد يغير النتائج وفق لتلك التنبؤات على الرغم من قدم هذه الفكرة، فقد جاءت في الاقاصيص القديمة مثل ما اوديب قتل أباه ولم يكن قد رآه من قبل, وكان ذلك نتيجة مباشرة للنبوءة التي دفعت اباه الى نبذه, وهذا ما يسميه بوبر الاثر الاوديبي على تأثير النبوءة في الحادث المتنبئ به

أو(على تأثير المعرفة عامة في الموقف المتصل بها), سواء كان من شأن هذا التأثير أن يساعد على وقوع الحادث أو على منعه.(بوبر,1992 ص24).

إن تصور بوبر للتنبؤات في علاقاتها مع التفسير للأحداث على انها ترسم ويخطط لها مثل مع فعل ماركس في تصوره للاشتراكية وقبله هيجل في فلسفته للتاريخ. في تأثير الاحكام المسبقة على المستقبل ومن ثم حكم ما يحدث من تطورات, ويمكن ملاحظة ذلك في الفلسفة السياسية ابان حكم بعض الحكماء ونأخذ مثالا على ذلك حكم هتلر "لقد ترسخ في المانيا التفسير القومي أو العنصري للتاريخ في الفترة بين حرب نابليون وانهيار حكم هتلر. ولأن هذا التفسير كان هو التفسير السائد قبل هتلر,فلقد هيأ جواً عقلياً, أو رؤية للعالم بدونها ما كان من الممكن لهتلر أن يكون له وجود, تلك الرؤية التي نرجعها في قدر منها الى نابليون وفي قدر اخر الى هيجل – وفقاً لهذا الفهم – أن هتلر قد فعل كل ما في وسعه لكي يحقق عملياً الابادة التامة للشعب الالماني وهي الابادة التي تم توقعها نظرياً. ورغم كل ما فعله هتلر لم يتحقق لحسن الحظ "(بوبر، 1994 ص275–276) قد لا يعني هذا عدم بناء تنبؤات علمية دقيقة تحدد المستقبل وأن كان هذه محل جدل الاختلاف في التنبؤات العلمية في اختلاف علم الفلك عن العلوم الاجتماعية.

فجدل الصراع بين التاريخيين والمهندسين الاجتماعيين قائم في النظر الى مرجعية المجتمع والاختلاف في الاسس لانطلاق اي احد منها, لذلك يولي بوبر اهمية للفرق بين التاريخانية والهندسة الاجتماعية, اذ يميل"التاريخاني بالنظر للمؤسسة الاجتماعية بشكل رئيسي من منظور تاريخها, أعني اصلها, وتطورها, وأهميتها الحاضرة والمستقبلة, وربما يشدد على أن أصلها إنما يرجع إلى خطة محددة أو تخطيط محدد, والى مسعى نحو أهداف محددة, إما إنسانية أو الهية"(بوبر، 1998ص33). وعلى ضوء ذلك يتحدد مسار التاريخ وشكل الحكم فيه.

رفض التاريخيون قول اصحاب المذهب الطبيعي في ان تطورات العلوم الاجتماعية تودي الى تنبؤات علمية ودقيقة," القول بأن العلوم الاجتماعية يمكن أن تصل في تطورها الى حد إمكان التنبؤ العلمي الدقيق بكل انواع الوقائع والحوادث, هذا القول يؤدي, في راي التاريخانيين, الى نتائج متناقضة, ومن الممكن إذن دحضه بالمنطق وحده ويصل في ذلك الى ما يمكن ان يفسد التنبؤات...وباختصار إن فكرة التقويم المضبوط المفصل للحوادث الاجتماعية فكرة متناقضة, والتنبؤات الاجتماعية العلمية الدقيقة المفصلة هي اذن فكرة مستحيلة(بوبر،1992, ص25).

وبذلك يرفض بوبر التنبؤ الاجتماعي القائم على اساس النبوءة التاريخية التي يتخذها التاريخيون القاعدة الاساسية في تفسير كل حكم اجتماعي وتنتهي عندئذ مقولة التفسير التاريخي التي يجب اتخاذهما أساساً لكل عمل اجتماعي, والنتيجة يجب أن

يكون تفسير التاريخ هو العمل الاساسي للفكر المطابق للمذهب التاريخاني, إذ أن جميع أفكار التاريخانيةتهدف الى تفسير الماضي, حتى يمكّنهم ذلك من التنبؤ بالمستقبل.وبذلك هم لا يخرجون من سطوة الماضي وتأثيراته حتى أن التطورات الاجتماعية يعملون على الحد منها والسيطرة عليها اذا لم يكن من الممكن منعها,وهذا ما شكل الفرق بين التنبؤات الانسانية والتنبؤ العلمي.

2.التنبؤ العلمي – بعد ان رفض بوبر التنبؤ التاريخي والاجتماعي هل يقيم التنبؤ العلمي أم يرفضه كذلك, سيما أنه ينقد الحتمية, والاستقراء يصفهبانه خرافة, فأنصدق التنبؤات في تفسير حالة معينة, أو اعطاء اكثر من توقع حول القضايا العلمية هو ما يمكن أن نبحثه مع بوبر , والذي اختلف فيه مع فلاسفة العلم, فالتنبؤات المغايرة للنبوءة التاريخية هي التنبؤات العلمية أو التكنولوجية, التي تتخذ من الاعمال الهندسية نموذجاً لها فهي" تنبؤات بناءة, لآنها تدلنا على الخطوات التي يجوز لنا اتخاذها إن أردنا التوصل الى تحقيق نتائج معينة, والجزء الاكبر من علم الطبيعة (بل علم الطبيعة كله تقريباً فيما عدا الفلك وعلم الأرصاد الجوية) يمدنا من نوع يمكن وصفه, من وجهة النظر العملية, بأنها تنبؤات تكنلوجية"(بوبر، 1992, ص57), على أن التمايز قائم في ارجاع التنبؤات العلمية الى التجربة, والعلوم التجريبية هي وحدها القادرة على التنبؤ العلمي في حين العلوم الاخرى قائمة على اساس الاحداث التاريخية, وأن كان ذلك محل جدل بالنسبة لبوبر كما في مشكلة الاستقراء التي سنبحثها في علاقة الاستقراء مع التنبؤ.

يمكن التمييز بين نوعين من التنبؤ: النبوءة التاريخية التي فندها بوبر من خلال تفنيد المذهب التاريخي, والتنبؤ العلمي أو التكنلوجي الذي يحدد السلوك العلمي, "فنحن قد نتنبأ (أ) بحدوث إعصار شديد, وهذا التنبؤ قد تكون له قيمة عملية كبرى, من حيث إنه قد يمكّن الناس من اتخاذ أسباب الوقاية في الوقت المناسب, وقد نتنبأ (ب) بأن الملجأ الذي يعده هؤلاء الناس لوقاية أنفسهم سوف يصمد للإعصار المقبل أن بُني بطريقة معينة, كأن يقام في ناحيته الشمالية مثلاً, حائط يسنده من الإسمنت المسلح"(بوبر، 1992, ص57).فنحن في الحالة الأولى نخبر عن حادث لا نقدر على منعه, ومثل هذه التنبؤ ما اطلق عليه اسم (النبوءة), وتقوم قيمته العملية في أنه يحذرنا من الحادث المتنبأ به حتى نحيد عن طريقه أو نستعد لمواجهته, اما الطريقة الثانية هو ما يبحث بوبر على ترسيخه وتثبيت دعائمه لان يبتعد عن الخرافة في المنهج ومن ثم يستند على دلائل علمية لتحقيق غاياته .

وعند التساؤل, أين يقع عمل التنبؤ من المنهج البوبري العلمي؟ فهو يدخل ضمن عمل التكذيب, أو أبعاد المحاولات النقدية الكاذبة بعد اطلاق الفروض من ذات المنهج في قابلية التكذيب, وعلينا بذلك معرفة خطوات ذلك المنهج وعمل التنبؤ منه الذي يحصره بوبر بأربع خطوات(بوبر، 1994, ص40):

1. المشكلة القديمة.
2. النظريات التي نخضعها للتجربة.
3. محاولات الاستبعاد من خلال المناقشة النقدية لنظرياتنا.
4. المشكلة الجديدة التي تنشأ من خلال المناقشة النقدية متضمنة الاختبار التجريبي العملي.

ترجع مسألة التنبؤ الى المشكلات العلمية, وهو: "من وجهة نظر العلم الخالص ينتمي للخطوة الثالثة, أي للمناقشة النقدية أو الاختبار, هذه التنبؤات مهمة إذ أنها تسمح لنا باختيار صدق النظريات التي تمثل محاولات للتفسير اختباراً واقعياً وعملياً"(بوبر ,1994, ص41), فالنظريات هي ذاتها, "نتاج للنظريات والصعوبات التي كشفت عنها المناقشة النقدية للنظريات, فهذه المشكلات النظرية هي في جوهرها مسائل تتطلب تفسيرات, والاجابات التي تقدمها هذه النظريات ليست سوى محاولات تفسير "(بوبر ,1994, ص41), وأن كانت الإجابات اكثر ما تكون فرضيات يختبر صحتها أو تنبؤات تحتاج الى تأكيد لقضاياها من خلال التجربة. تنطوي النظرية على ملاحظات لابد أن تتناسق مع التنبؤات لاستمرار قبول النظرية, " تعطي النظرية تنبؤات, وهذه يمكن اختبارها بالملاحظة, وإذا اتفقت الملاحظات مع التنبؤات فإن هذا لا يبرهن على النظرية, وإنما تظل النظرية باقية لتصنيع تنبؤات جديدة, تختبر مرة اخرى بالملاحظة. واذا لم تتفق النظرية مع التنبؤات نتخلى عن النظرية"(هوكنج، 1995, ص67-66).حيث تقبل النظرية اذا ما تم رفضها في الواقع بواسطة الملاحظات التي تحمل النقيض وهذا معيار بوبر في التكذيب.

يختلف التنبؤ بالنظرية عن مرحلة تفسيرها, اذ يميز بوبر بين نوعين من مشاكل التفسير: النوع الاول خاص بالتفسير أو التنبؤ بحادثة واحدة منفردة أو بعدد بالغ من الأحداث المنفردة, ويمكن أن يكون مثالنا من العلوم الطبيعية هو, متى ستحدث المرة التالية لخسوف القمر أو المرة الثانية أو الثالثة, ما هو المعيار في حدوث تنبؤات اخرى؟ أما المثال من العلوم الاجتماعية, متى سيكون الارتفاع التالي لمعدلات البطالة في مدينة ما؟ أما النوع الثاني فخاص بالتفسيرأو التنبؤ بنوع أو نمط معين من الاحداث, ويمكن أن يكون المثال من العلوم الطبيعية هو, لماذا يحدث خسوف القمر المرة تلو الاخرى, وفقط عندما يكون القمر بدراً ؟ ويمكن أن يكون المثال من العلوم الاجتماعية هو لماذا ترتفع وتنخفض معدلات البطالة في صناعة البناء بصورة موسمية.(بوبر، 2001, ص199) والحل الذي يقدمه بوبر في أن الاستدلال على الاول يكون من قوانين نيوتن في الحركة وهو من دون تشييد نموذج والثاني من خلال تشييد نموذجاً ميكانيكاً يمكن الرجوع اليه في التنبؤات يكون اشد عمقاً من الاول كما يسميها بوبر القوانين والتنبؤات الباعثة للحياة وهي بالتالي لا يمكن الاستغناء عنها.

الوصف والتفسير والتنبؤ, وكذلك التحكم تمضي كلها على خط متصل في العلوم الطبيعية, فما وصفناه وفسرناه به، إنما يعني التنبؤ بحدوثه على النحو الذي وصفناه وفسّرناه, فبينما يأتي التفسير والتنبؤ في العلوم الطبيعية في سياق استدلالي مباشر يأتي التفسير والتنبؤ في العلوم الانسانية على مرحلة لا يصبح التنبؤ مجرد نقل التفسير من الماضي الى المستقبل, بحيث أن ما حدث لابد ان يحدث كما هو الحال في العلوم الطبيعية. فليس التحدي الاساسي للعلوم الانسانية أن تنظر الى الوراء, لان فيه ما يمكن لأي تطور سابق أن ينتظم في اي مخطط لاحق إذا ما كان عاماً بقدر كافٍ.(قنصوة، 2007, ص396-395) فالملاحظات التي ممكن تكرارها في التجربة الفيزيائية لا يمكن تكرارها في العلوم الاجتماعية او الحوادث التاريخية.

لكن هل من الممكن الفصل بين فلسفة بوبر في العلوم الطبيعية عن فلسفته في علوم السياسة والتاريخ, هل من الممكن تطبيق خطوات المنهج على فلسفة دون اخرى, فالنتيجة التي يمكن الوصول اليها في ان بوبر ما طبقه في فلسفته النقدية من قابلية الاستبعاد (التكذيب) هو يطبق على كل فلسفته في العلم والتاريخ, لذلك كان الاستبعاد "المبدأ الموجه للمفكر في مجال فلسفة السياسة والتاريخ في مقابل الاستقراء الذي هو أداة المعرفة التنبؤية في مجال العلم والسياسة والتاريخ, وفي مقابل الاعتقاد الذي رفضه بحله للمشكلة السيكولوجية للاستقراء" (بوبر، 1994 ص17) بذلك يكون الاستقراء مجال من مجالات التنبؤ العلمي الذي عمل بوبر على تفنيده.

أ- التنبؤ ومشكلة الاستقراء- يرتبط مفهوم التنبؤ مع نظرية الاحتمالات والمنهج الاستقرائي ويكون احد التوقعات المحتملة وفي بعض الاحيان ينطوي فيهما, معتمدا بذلك على قوة الملاحظات ودقة المعلومات في عملية التوقع أو التنبؤ العلمي, وهذا ما اشتغل عليه الفلاسفة المحدثون من هيوم وكانت وصولاً الى كارل بوبر.

إن الفكرة الرئيسة التي تستند اليها النزعة الاستقرائية هي أن العلم يبدأ من ملاحظات وينتقل منها الى التعميمات, (القوانين والنظريات والتنبؤات), وفي ممارسة المنهج العلمي يبدأ كبار العلماء بجمع عدد كبير من الملاحظات الدقيقة, ثم يتوصلون بعد ذلك الى بعض التعميمات من خلال المعطيات الحسية التي لديهم, وربما يمكنهم على اساس هذه التعميمات التوصل الى تنبؤات معينة.

تفترض امكانية التنبؤ تصنيف الحوادث بشكل يجعل تكرار عملية الاستقراء يؤدي الى النجاح, وبناء على هذا فإن قابلية المنهج الاستقرائي للتطبيق هي الشرط الضروري لإمكانية التنبؤات, ويمكن القول أيضا: إذا كانت التنبؤات ممكنة, فإن الطريقة الاستقرائية هي الشرط الكافي في الحصول عليها. قد تكون هناك طريقة أخرى تمكن من التنبؤ ولكن لا نعرفها, ولذلك كان الاستقراء هو المنهاج الضروري للحصول على

تنبؤات(الجابري,2002, ص307). وأن كانت هذه الرؤية من وجهة اصحاب المنهج الاستقرائي.

إذ يذهب ديفيد هيوم الى أن الاستدلال العلمي من الملاحظات الى القوانين أو التنبؤات لا يمكن التوصل اليها بواسطة الاستنباط المنطقي وحجته على ذلك هي: إذا أسلمنا بصدق مقدمات الاستنباط المنطقي فلا بد أن نسلم بصدق النتيجة, ومن ثم فإننا إذا اعتقدنا بأن كل الغربان سوداء, وبأن عمرو(غراب), فلا بد أن نسلم ببساطة بأن عمرو أسود اللون, إن نتيجة الاستنباط المنطقي تلزم لزوماً ضرورياً عن المقدمات (جيليز، 2009, ص35).وبذلك تذهب حالة الاستقراء الى إعطاء قانون كلي أو تنبؤ بإمكانه أن يحدد بأن حالة الغربان سوداء, أو حالة البجع ابيض, في تحديد حالات معينة واعطاء بها قانون ونتيجة كلية, وهذا ما عمل بوبر على رفضه من خلال مبدأ التكذيب في ان حالة واحدة مخالفة من ايجاد لون ابيض للغربان يفند القضية والنتيجة, ومن ثمة يحول دون صدق النتائج والتنبؤات, اذ أختلف به بوبر عن الوضعية المنطقية في البحث عن تكذيب للقضية من حالات محددة, أي ما يكذب القضية من الملاحظات. وبذلك لا يمكن الاستدلال بطريقة يقينية على أن كل الغربان سوداء, وهكذا لا يمكن التوصل الى القوانين والتنبؤات عن طريق الاستنباط أو الاستدلال الاستنباطي.

فصاحب المذهب الاستقرائي يرى أن "التعميمات والتنبؤات يمكن التوصل إليهما من ملاحظات تم جمعها بدقة من خلال عملية استدلال استقرائية. لكن بمجرد التوصل الى تعميم أو تنبؤ بهذه الطريقة, فإنه من الطبيعي أن تكون الخطوة التالية هي محاولة حساب درجة احتمال صدق هذا التعميم أو ذاك التنبؤ الذي يستند إلى أدلة معينة, ففي وسعنا مثلاً, أن نحسب درجة احتمال إصابة أحد الاشخاص بمرض ما أستناد الى شكواه من مجموعة معينة من الاعرض".(جيليز، 2009, ص44-42), وهذا ما نأتي عليه لاحقاً في تحديد علاقة التنبؤ بالاحتمال.

يرتكز عمل الاستقراء على التكرار مما يمهد لعمل الاحتمال لذلك يقترح صيغة معدلة من خلالها يفسر الاحتمال بالتكرار النسبي للحدوث لكي يجعل العبارات المحتملة الصدق, قابلة لأن تدحض وبالتالي تكون عبارات علمية, ولكنه يضع كذلك تصورا للاحتمال المنطقي- يختلف عن فكرة تكرار الحدوث – وهو تصور يعتقد أنه أنسب لتقدير قيمة الشواهد التي يستشهد بها على صحة فرض علمي(مجموعة مؤلفين, ص132) كما يتضح من خلال مشكلة الاستقراء او رفضه بأنه كاذب, الا ان كارل بوبر يذهب الى خرافة الاستقراء, وأنه من غير الممكن التنبؤ بالمستقبل من عدة ملاحظات, "أن الاستقراء, أي الاستدلال الذي يستند الى عدة ملاحظات هو خرافة, فهو ليس واقعة من وقائع الحياة اليومية, فضلاً على أنه ليس أحد المناهج المتبعة في مجال العلم"(جيليز،

2009, ص50).

ب. العلاقة بين التنبؤ والسببية.- ترتبط العلاقة السببية مع التنبؤ في تفسير النظريات, فهل تسير النظرية وفق محدد سببي مسبق ام مع يمكن تفنيده من الملاحظات حول النظرية لأثبات صدقها او تكذيبها, فالتنبؤ: "هو الوحيد الذي يعزز دقة حدوث الرابطة السببية الضرورية, ولعله السبب الذي جعل العلم يؤسس كل نظرياته على مبدأ يقول لكل ظاهرة سبب بالضرورة, ولاسيما إن معرفتنا للسبب هنا تمكننا من التنبؤ بحدوث الظاهرة" (عبدالله, 2006,ص16) وان كان ذلك يسير في اطار الحتمية الذي يرفضه بوبر ويؤيده في ذلك كل من الوضعيين المناطقة والأداتين, إذ رءوا الاخذ بمبدأ التفسير والمناقشة النقدية الذي يجعلها بوبر من خطوات منهجه العلمي وابعاد التفسير السببي, إذ أخذوا بالدعوة القائلة: إن النظريات المفسرة ليست سوى مقدمات لاستنتاج التنبؤات وما يقصده بذلك هو الاهتمام النظري بالتفسير, أي اكتشاف النظريات المفسرة, لا يمكن اختصاره الى الاهتمام العملي- التقني باشتقاق التنبؤات, فاهتمام النظري بالتنبؤات ينبع بالعكس من الرغبة في المعرفة ما اذا كانت النظرية صحيحة أم لا, أو بعبارة أخرى من سعيه الى فحص النظرية ما اذا كان يمكن تفنيدها.(بوبر, 2006, ص95)لذلك من مهمة الباحث العلمي معرفة الظاهرة ومتابعتها سببياً لاشتقاق التنبؤات.

إن مهمة الباحث العلمي هي التفتيش عن قوانين تتيح له استنتاج التنبؤات, وتنقسم هذه المهمة الى شطرين: يجب على الباحث, أولا: التفتيش عن قوانين تمكنهُ من استنتاج تنبؤات مفردة وقوانين(ذات طابع سببي) وقوانين ذات طابع حتمي, وهو جانب البحث في بيان الترابط السببي بوجود الحتمية, والجانب الاخر: ثانياً: يجب علينا وضع فرضيات تواتر وقوانين احتمال تمكنه من استنتاج تنبؤات تواتر, ولا يوجد تعارض بين هاتين المهمتين(بوبر، 2006, ص94). فالجانب الاحتمالي ينهي ظل الحتمية ويفتح باب التوقعات والتنبؤات بالاعتماد على المنهج الاستقرائي. اذتجرى التجارب فيه بغية اكتشاف العلاقات السببية للظاهرة بهدف التنبؤ بحدوثها. وهذا يقتضي الاستجابة لقانونين أساسيين: قانون السببية وقانون الانتظام الطبيعي، ويسمى كذلك بقانون اطراد الطبيعة, يفيد قانون السببية بأن لكل ظاهرة سبباً، في حين يعني قانون الانتظام الطبيعي بأن ظواهر الطبيعة تسير بشكل منتظم لا يتغير طالما أنها قائمة على علاقات سببية ضرورية. فالقضية تكون سبباً اذا كان من الممكن التنبؤ بها,» تسمى قضية سببية, القضية التي تدعي أن كل سيرورة أياً كانت تفسيراً سببياً, أي أنه من الممكن التنبؤ بها, تأخذ هذه القضية بحسب المعنى الذي نعطيه(الممكن) إما شكل تحصيل حاصل(حكم تحليلي) وإما شكل منطوق عن الواقع(حكم تركيبي). فإذا كان المقصود بالكلمة هو الامكان المنطقي فالقضية تحصيل حاصل إذ يمكن دوماً وأيا كان التنبؤ, أيجاد قضايا عامة وشروط على الحدود يشتق التنبؤ منها»(بوبر، ٢٠٠٦,ص٩٤).

قد يكون التنبؤ نتيجة للنظرية السببية أو الفعل المسبب, إن تحميل شيء أكثر من وزنه يؤدي الى قطعه, إن الخيط الذي يحمل ثقل ١ كغ لا يمكن تحميله ٢ كغ الا وانقطع, فانقطاع الخيط بعد زيادة الثقل هي حالة بديهية, لكن هل يسمى هذا تنبؤا ام تفسيرا ؟ التنبؤ هنا يقوم على حالة التفسير وهو بذلك متوقف على نوع القضايا: اذ نجد نوعيين مختلفين من القضايا يقتضيها التفسير السببي الكامل معاً:(أ) قضايا عامة– فرضيات وقوانين طبيعية.(ب) قضايا خاصة وهي قضايا لا تصح الا على الحالة التي نواجها, ويمكن أن نستنتج من القضايا العامة بالاستعانة بالقضايا الخاصة, أن هذه الخيط سينقطع إذا علق فيه هذا الثقل. نسمي هذه القضية تنبؤاً خاصاً أو منفرداً(بوبر، ٢٠٠٦, ص٩٤) وهذا ما طبقه بوبر على النظريات الاحصائية التي لا يمكن اشتقاق إي تنبؤ منفرد مضبوط أو دقيق منها وأن كل ما يمكن فعله هو استخلاص تنبؤات منفردة غير محددة (أي صورية) ولكن كل مانجزم به هنا هو أن النظرية لا تحضر هذه التنبؤات, وأن كانت لا تزودنا بها, لأنه لامعنى للحديث عن استحالة تنبؤات منفردة الا أذ كان من الممكن البرهان على استحالة قياس متنبئ اضطراب النظام, وهذا ما يذهب اليه ادغار موران في ابستمولوجيا التعقيد ونظرية التشوش في عالم المعاصر اليوم وظل التعقيد الحاصل في العلوم بصورة عامة.

عن طريق السببية إذن, يرتبط المستقبل بالماضي من خلال الحاضر وكأن الازمنة متصلة وعلى امتداد واحد وهذا ما يرفضه بوبر على كل الفلاسفة التي لهم هذه النظرة ومنهم وايتهد الذي يحضر الماضي بالمستقبل من خلال فاعلية الحاضر» المستقبل يخص جوهر الحقيقة الحاضرة وليست له فعلية غير فعلية الحقيقة الحاضرة, فالحاضر أذن هو فعلية المستقبل لأن احداث المستقبل غير فعلية كونها غير متشكلة مقدما, الا اننا ومن خلال فعلية الحاضر نستطيع التنبؤ بالمستقبل, لأن الحاضر يحمل في اساسه العلاقات التي تكون لهُ بالمستقبل ولهذا فأنه يشتمل في جوهره الضرورات التي أن يتطابق المستقبل معها».(عبدالله, ٢٠٠٦, ص١٧٠–١٧١).وبذلك تقترن فكرة السببية مع فكرة الاحتمال بعد تجرد مفهوم الحتمية كما سنلاحظ في جدل العلاقة بين التنبؤ والاحتمال.

3. التنبؤ بين بوبر وباشلار في رفض الحتمية– يولي باشلار اهمية كبيرة للحتمية كما هو في كتابه الفكر العلمي الجديد بانها قد سيطرت على تقدم العلم وهذا ما يتعارض مع نمو العلم, فإن ادراك الاسباب التي ادت الى اكتشاف نظرية جديدة لا يعني وضع قانون كلي يسيطر على العلم وأن قبول نظرية ما مثلما هو في الجاذبية والنسبية له امتداد معين لا يمكن الانطلاق منه في الحكم على المستقبل, وعلى ضوء ذلك بقى الاشكال الحتمي واللاحتمي قائم بسبب انتقال الفيزياء من الكم الى النوع,ورفض بذلك انشتاين مبدا اللاحتمية من خلال مقولته الشهيرة (ان الله لا يلعب النرد) قد نعترف

بالسببية والحتمية في حالات معينة لكن لا يعني هذا السيطرة على المستقبل او التنبؤ به بصورة دقيقة.

يرتبط التنبؤ بالحتمية أو يرتكز عليها, كما يذهب الى ذلك العلم, " فالحتمية في الفلسفة مرادفة للضرورة الموضوعية, واما في العلم تعني امكانية التنبؤ بالحالة المستقبلة للعالم الطبيعي بالاستناد الى الحالة الحاضرة".(عبدالله، 2006, ص19), فإن العلم يستند الى التنبؤ, والتنبؤ في جوهره يرتبط بالحتمية، فكلما كانت الحالة التي توجد عليها الأشياء والظواهر تسمح لنا باستشراف المستقبل, فمعنى ذلك أنه علينا التنبؤ بكل دقة بالنتائج المطلوبة التي تترتب على الاسباب, وضمن ظروف هي في نفسها محددة بدقة, ومن ثم فإن التنبؤ الصارم والدقيق هو علامة على امتلاك النسق المدروس بصفة الحتمية. وعليه يرتبط التنبؤ بالعلاقة السببية التي تسمح لنا بالكشف عن الماضي والمستقبل معاً, فمهما يخضعان لقواعد ضرورية وحتمية واحدة, وهنا يكون معنى السببية هو القابلية للتنبؤ.(الجندي,2011, ص148) كما مر سابقا في علاقة التنبؤ بالسببية.

يميز باشلار بين نوعين من الحتمية: السلبية والايجابية, على اساس الشك في وصف ظاهرة محددة, " فاذا ارتاب امرؤ في جواز تصور خط خاص من خطوط الظاهرات على انه حتمي, فانه سيلجأ الى تحديد حال الظاهرة وسيتنبأ بحال ناجمة عنها, حال الظاهرة المتطورة التي سيحددها بأكبر دقة ممكنة وسيكون البرهان اعظم اقناعاًكلما زادت دقة وصف الظاهرة, غير أن لهذه الدقة حدوداً. وعندئذ سيكون المرء مرغماً على الاعتراف بجهل خفيف, بذبذبة خفيفة في التنبؤ, ولكنه بالمقابل سيكون اكثر وثوقيه فيما يتصل بالتنبؤ بان الظاهرة المرتقبة لن تحدث وسيلمس هناك المطلق القطعي الحتمي بدون اي شائبة" (باشلار, 1983,ص111) بالإمكان أن يكون للحتمية تصور ضعيف لكن احتمال الصواب فيه كبير لأنه قائم على وصف الملاحظة والتجريب لذلك نجد تطرفاً في وصف الدقة على كل من يؤمن بالحتمية على اختلاف التوجهات سواء كانت يسارية تؤمن بالعلم وحده او مؤمنة قدرية.

إن تأكيد الحتمية الفيزيائية بالمعنى العادي انما يعني: "عمومية قوانين الطبيعة وثبوتها واطرادها, فلا تخلف ولا مصادفة ولا جواز ولا إمكان, لأن كل شيء في الكون ضروري ذو علاقة ثابتة, وكل حدث مشروط بما يتقدمه أو يصحبه, فترتبت أحداث الكون في اتجاه واحد من مطلق الماضي إلى مطلق المستقبل" (الخولي، 1978, ص16) وبهذا يتحدد تطور الكون وفق خطى ثابتة. "تأكيد أن حال الكون في لحظة ما, تحدد تطوره الاحق كل التحديد, فالميكانيك المدرسية القائلة بالنقطة المادية تتقيد بالحتمية شريطة أن نسمي حال نقطة في لحظة معطاة مجموع وضعها وسرعتها وهذا ما يعقد الاشياء قليلا لان نظرية النسبية قد علمتنا ان الزمان لا ينفصل عن المكان"(باشلار,1983, ص108), ومن هذه الحتمية, "خرجت الحتمية الاجتماعية التي تزعم

قوانين ضرورية للحركة الاجتماعية, وتعضدت الحتمية التاريخية التي تزعم طريقاً واحداً محتوماً لمسار التاريخ,(الخولي، 1978, ص16).هذا اذا ما عرفنا ان اغلب النظريات الجديدة او الكشوفات العلمية الهائلة التي غيرت الحياة هي ما تدخل ضمن عمل التنبؤ او كما يذهب بعض الفلاسفة الى التنبؤات الفاشلة قد تخلق عملا ابداعيا في المستقبل.

إن استطعنا القيام بتنبؤات ممتازة, فأن مرد ذلك الى مفهوم الاحتمال الذي يعرب عن قانون من القوانين بالنسبة للعوامل التي يتناولها الحساب, فإذا وصفنا ظاهرة من الظاهرات بعدد من الوسطاء او الخيارات فان من الجائز التنبؤ باحتمال واحدا منها وابعاد الاحتمالات الاخرى وهذه الفكرة التي ينتفع منها بوبر في قابلية التكذيب في ترشيح افضل الاحتمالات وابعاد ما يمكن ابعاده اي الاضعف للوصول الى ما هو قريب الصواب ومن ثمة تحقيق غاية العلم في الصواب والدقة (باشلار ,1983, ص121).

4. نهاية الحتمية وبدء مرحلة الاحتمال– التنبؤ مع وجود الاحتمال يدخل ضمن معيار النسبية فلا يوجد يقين بدقة التنبؤ وانما يحمل نسبة من الحقيقة والصحة وهذا ما يمكن ملاحظته مع كل الفلاسفة المعاصرين والعلماء بوجود نسبة مئوية في احتساب الاحتمال ومطابقته مع الواقع. أن اهم ما في نظرية الاحتمال هو تطبيقها على الاحداث العشوائية وتقول عن حدث عشوائي عندما يتسم بخاصة عدم امكن حسابه من جهة, وعندما نفرض من جهة أخرى كل الطرق العقلانية للتنبؤ به فاشلة, بانين هذا الفرض على محاولات عديدة غير مجدية, ينتابنا الشعور عن هذا الحدث, أذا صح التعبير, إننا بحاجة الى نبي وليس الى عالم نتوقعه(بوبر ,2006, ص94).هذا التشوش والغموض في فهم العالم ادى الى ضعف التنبؤ وعدم دقته في توقع الاحداث كما سنلاحظه مع ادغار موران في نظريته الفوضوية.

ثانياً– ادغار موران: يعد ادغار موران من الفلاسفة الذين قلبوا المنهج الديكارتي فلم يقبل الانتقال من البسيط الى المعقد أو المركب كما جاء به ديكارت في فهم وتفسير العالم أو ماركس في عكس مسالة الوعي لعمل الفهم. فالعالم مع موران غامض معقد لا يمكن فهمه فضلاً عن تفسيره أو توقع الاحداث فيه, العالم عبارة عن تاريخ أزماته, مسالة الازمة لم تتوقف على الفلسفة بل نجد اشتراك علم الاجتماع كما عند اولريش بيك في فهم المخاطرة الكونية التي نسلط عليها الضوء في ترابط التنبؤ بالعلم والفلسفة على حداً سواء .

1- نظرية الفوضى وانتفاء عمل التنبؤ– ينفي موران التنبؤ العلمي من خلال نظرية الفوضى بسبب التشوش الحاصل في العالم, فالتشوش انطلاق لأبستمولوجيا التعقيد التي تنص على " أن الانظمة التي تحكمها معادلات بسيطة تظهر سلوك عشوائي (معقد) ولا يمكن التنبؤ بها. وينشأ هذا من الحساسية المفرطة للشروط الأولية لجميع نظم الفوضى", (خليفة، 2016–2015, ص112).

اذ تتميز النظم الفوضوية "بكونها نظم ذات درجة عالية من التعقيد, بسبب كثرة العوامل المؤثرة في النظام وحساسية هذه النظم لهذه العوامل, فتبدي تلك الظواهر الفوضوية المعقدة سلوكاً عشوائياً ناتجاً عن عدم القدرة على تحديد الشروط المبدئية لتلك النظم, ومن ثم لا يمكن التنبؤ بتفاصيل موضع وحركة كل جزيء في أي منظومة مركبة "(خليفة، 2016-2015, ص112), وهذا ما يطلق عليه خاصية اللاتنبؤ أو بالنسق الكاوسي أو الفوضوي.

أذن لابد من عنصر في ذهن العالم يضفي الوحدة والنظام والنسقية على ركام الوقائع المتناثرة, وهي وظيفة العلم في مواجهة الوقائع, إنها التفسير والتنبؤ والسير نحو الوحدة, على أن هذه الوحدة وتبسيط الرؤى لتفسير العالم وتحويله من مركب الى بسيط جوبهت بكثير من الانتقادات بدأت بالإشارة اليها من قبل بوانكاريه ومن ثم ادغار موران.

يمكن القول إن نظرية الفوضى انطلقت مع هنرى بوانكاريه من خلال بحثه المنشور عام 1890 الذي ينتهي به الى عدم امكان التنبؤ بالمستقبل اقتراناً من نظرية التعقيد أو الفوضى إذ بين فيه "أن قوانين الفيزياء الكلاسيكية لا تقدم أي حل لمشكلة التنبؤ بحركات الكواكب الثلاث(الشمس, القمر, الارض) فاختلافات طفيفة وبسيطة في الشروط الابتدائية من شأنها أن تحدث اختلافات عظيمة في الظواهر النهائية وتتحدى كل تنبؤ يمكن أن يقوم, إن أي خطأ ضئيل في البدايات ينتج عنه خطا كبير في النهائيات, ويصبح بذلك التنبؤ متعذراً, وتنتج ظاهرة عشوائية, وبذلك لا يوجد خط مستقيم في عمل الكشوفات العلمية والبحثية فلا تعبر النتائج عن المقدمات وقد لا ترتبط بها اصلاً"(خليفة، 2016-2015, ص118). لذلك يميز بوانكاريه بين الواقع المعقد والقوانين البسيطة, وإذا كان هناك تعميم استقرائي فمهمته التنبؤ, وليجعل الواقع ابسط ويعبر عن الوحدة في مجال العلم على مستوى العلم (الابستمولوجيا) دون الوجود(الخولي، 2000, ص307).

التعقيد الذي جاء به موران ليس وصفة لمعرفة اللامتوقع لكنه يجعلنا حذرين ومنتبهين, إذ لا يتركنا ننساق الى النوم والانصياع للطابع الميكانيكي(يمكن متابعة ذلك مع تشييد نموذج لألية التنبؤ الذي جاء به بوبر) والطابع العادي الظاهر للحتميات. إنه يبين لنا أنه لا يجب علينا أن ننغلق داخل نزعة تقديس الحاضر, أي الاعتقاد الذي مفاده, أن ما يقع الان سيستمر على الدوام, ومع أننا نعلم أن كل الاحداث الهامة في التاريخ العالمي, أو في حياتنا أحداث لا متوقعة بشكل كلي(كما بينه كارل بوبر ورفضه بظل التنبؤ التاريخي) إلا أننا نستمر في التصرف كما لو أنه لا شيء لا متوقع بإمكان أن يحدث, لذلك إن الفكر المركب لا يرفض إطلاقاً الوضوح والثبات والحتمية, إلا أنه يعلم أنها غير كافية, ويعلم أنه ليس بإمكاننا برمجة الاكتشاف ولا المعرفة ولا الفعل(موران، 2004, ص82). وعلى اساس هذا ينقد موران فلسفة المستقبل.

ينقد موران اي ترابط عللي بإمكانه تحديد المستقبل أو يرسمه كما ذهب الى ذلك فلاسفة المستقبل ابان ستينيات القرن العشرين, " أعتقد الفكر التقنو- بيروقراطي أن بإمكانه التنبؤ بالمستقبل... فالمشتغلين بالمستقبل شيدوا مستقبلاً خيالياً انطلاقاً من حاضر مجرد. فالحاضر الزائف المسمن بالهرمونات حل بالنسبة إليهم محل المستقبل. والأدوات الفظة, والمبتورة, والباترة التي كانت تساعدهم على إدراك الواقع وتصوره أعمت بصيرتهم لا عن رؤية ما ليس متوقعاً فحسب, بل وعن رؤية ما هو متوقع"(موران، 2009, ص9). وبذلك تغيب الرؤية عن تصور الحاضر ومن وضع رؤية مستقبلية إذ تبطل النظرية القائلة أن الماضي والحاضر يمكن الاحاطة بهما ومن ثمة سهولة توقع المستقبل وهذا ما يشكل الخطأ الذي يقع فيه اصحاب التنظيم التبسيطي الذي يعتقد" أن الماضي والحاضر معلومان, وأن عوامل التطور معلومة, وأن مبدأ العلية مبدأ خطي, والمستقبل يمكن انطلاقاً من ذلك التنبؤ به" (موران،2009, ص9-8).

فكلما ازدادت دائرة اليقين توسع عمل التنبؤ وهذا ما يرفضه موران من خلال فلسفة الازمة التي تضيق معها التوقعات وتتعقد بها الحلول, وهو تشخيص لازمات المجتمع السياسية والاقتصادية, "إن كل أزمة هي تنمية للأيقينيات, حيث تتقلص القدرة على التنبؤ, وتبدأ الاختلالات تهدد, وتقوم الصراعات بحجب التكاملات وتتحقق الصراعات التي كانت كامنة وتختل الضوابط أو تتحطم. يجب التخلي عن البرامج. يجب خلق استراتيجيا للخروج من الازمة, يجب غالباً التخلي عن الحلول التي عالجت الازمات القديمة وبناء حلول جديدة "(موران،2004, ص 82).نستنتج بذلك عدم دقة صدق التنبؤات مع وجود الفوضى والتعقيد في العالم إذ تنفي النتيجة والسبب معاً.

ثالثاً – التنبؤ وحساب المخاطرة عند اولريش بيك.: قد لا تكون العلاقة وثيقة بين تنبؤ كارل بوبر وحساب المخاطرة الذي وضعه اولريش بيك, الا أنه توجد علاقة غير مباشرة بين المفهومين التنبؤ من جهة وحساب الازمات الذي يشترك به موران مع اولريش بيك, في أن ما يحدث في العالم من مخاطر وأزمات وارهاب عالمي يفوق التوقع ولا يمكن حسابه وفق النظريات العلمية او التنبؤ الذي رشحه بوبر.

جاء كتاب اولريش بيك (مجتمع المخاطر العالمي) للإجابة عن تحديد التنبؤات المستقبلية التي تحيط بالإنسان من المخاطرة والكوارث المتوقعة الحدوث تمييزاً عن الحادثة بالفعل, فأهم الاسئلة التي طرحها هي(بيك، 2013, ص33): كيف يتم تصنيع حاضر الكوارث المستقبلية؟ أي من الطرق تُكسِب المخاطرة صفة حقيقية؟ أي كيف تتحكم هذه المخاطرة في العقول والمؤسسات بوصفها توقعًا ذا مصداقية (أن مسالة صدق التنبؤات هي محل جدل كما كانت مع بوبر. فالحد الفاصل بين التنبؤ الزائف (التاريخي) والتنبؤ العلمي هو صدق التنبؤات ومدى مطابقتها للواقع) لاسيما بما يتخطى حدود القوميات والاقاليم والاديان والاحزاب السياسية, بل الأغنياء والفقراء؟ والسؤال الاهم هو

كيف يُحفز التنبؤ بالكارثة تحديداً على اختراع ما هو سياسي مجدداً؟

كل هذه الاسئلة والاجابة عليها حتمت على اولريش بيك أن يتناول ويشخص المشاكل الاساسية للمجتمع والعالم وأن يحدد حجم غموض التعقيد فيه, فالتغلب على التعقيد جاء من خلال فهم وتفسير ظواهر المخاطرة وهو جزء من حل الازمات, إذ يميز اولريش بيك " ثلاث منطقيات للمخاطرة أو منطلقات وهي: الأزمات الإيكولوجية(البيئية), والأزمات المالية الكونية, والاخطار الارهابية"(بيك، 2013, ص41). الا إن هذه الازمات والمخاطر متفاوتة التوقع والخطورة حسب القصدية من تكونها التي تحدث مثلاً في الاخطار الارهابية بينما لا نجدها في الاخطار الطبيعية. وبذلك لابد من التمييز بين نوعين مختلفين لكل منها اهمية اساسية في نظرية مجتمع المخاطر العالمي:- (بيك، 2013, ص151).

اولاً: توقع الكوارث من الاثار الجانبية في ارتباطها بنجاحات الانواع الجديدة من تكنلوجيا المستقبل, ولكن كذلك في ارتباطها بالتغيير المناخي وغيرها. مما يدلل على امكان التنبؤ بالكوارث الطبيعية والظواهر الكونية التي تحدث, لكن استحالة التنبؤ تكمن في الكوارث والمخاطر البشرية مثل الارهاب.

ثانياً- توقع الكوارث المقصودة والمتمثلة في ارهاب العمليات الانتحارية الذي يمارس بشكل يتعدى القوميات. وبالتالي من الممكن ان نتنبأ علمياً بحدوث الكوارث الطبيعية والظواهر المختلفة من الزلازل والخسوف والكسوف وبذلك لا يختلف بيك عن بوبر إلا انه من الصعب التنبؤ بالكوارث البشرية مثل مخاطر الارهاب.

إذن, أين يكمن حساب الاحتمال في عمل التوقع أو التنبؤ؟ يكمن في جميع الجوانب المختلفة السياسية والاجتماعية حتى الامنية منها, فكل المنظومات الامنية يرتكز عملها على توقع الخطر وفك معالم الارهاب قبل حدوثة والا انتفى عملها ووجودها معاً, لذلك عندما يتم "التنبؤ بالكوارث وبقوتها التدميرية التي تهدد الجميع, ينهار حساب المخاطرة الذي يعتمد على الخبرة والعقلانية, وفي هذه اللحظة لابد أن نضع بالاعتبار كل السيناريوهات الممكنة وغير المحتملة بشكل أو بأخر, من أجل المعرفة التي نستقيها من الخبرة والعلوم, يجب أن تتدخل قوة التصور والشك والخيال والفزع"(بيك، 2013, ص106).

لم تطبق نظرية بيك سياسياً فحسب بل كذلك اجتماعياً من خلال نظرية العمل. عكس اولريش بيك التعقيد والمخاطرة على مجتمع العمل في اتصال الماضي والحاضر" إن التحليلات التقليدية لمجتمعات العمل, لا تطرح بدائل مستقبلية, تجيب مع ذلك على هذه الاسئلة, بمعنى تمديد مجتمع العمل العادي وبديهياتها الذاتية والاجتماعية والثقافية

نحو المستقبل, وهناك على العموم بحوث وبراهين تقدم مفترضة في صمت أن نموذجي الماضي والحاضر يصلحان, أن يكونا نموذجي المستقبل أيضا (بيك، 2001, ص12). ولكن هذا يختلف به بيك عن كارل بوبر في إن الاخير لا يعتقد بالحتمية والسببية وان الاحداث غير متسلسلة فالمعلوم من الماضي والحاضر لا يعني الاحاطة بالمستقبل أو وضع قوانين تحده كما راينا في المجتمع المفتوح ويبقى بذلك التنبؤ محل جدل بين الفلاسفة في وجوده وصحته ومطابقته للواقع.

المخاطر هي دائما أحداث مستقبلية, ربما تكون تنتظرنا وتهددنا. ولكن نظراً لأن هذا التهديد الدائم هو ما يحدد توقعاتنا, ويتملك عقولنا ويوجه أفعالنا وسلوكنا فإنه يصبح بمثابة القوة السياسية التي تغير العالم.(بيك ، 2013, ص33), لكن تبقى قراءة المستقبل من الصعوبات المعقدة إن قراءة مستقبل الاتجاهات والبيانات العامة الراهنة معقدة مثل قراءة الفنجان, ويقوم اساس هذه الصعوبات في اننا ونحن في غمرة الشروط المحتملة لحدوث تغير سياسي في حاجة الى أطر مفهومية جديدة.وبذلك يكون بيك قريب جداً في محاولة ايجاد نظم ومفاهيم جديدة تكون حلولاً للمشكلات القائمة.

النتائج: العديد من النتائج يمكن استخلاصها في هذه الدراسة وهي كالاتي:-

1- رفض بوبر التنبؤ الذي يأتي على اساس الشمولية وهو ما يدخل ضمن التاريخانية التي تفرض احكامها المسبقة في قراءة المستقبل. وترسم قوانين التطور وفق أيدولوجيات ضيقة واستشهد بذلك سياسياً كما هو في حكم هتلر وكل الانظمة الشمولية.
2- يدخل التنبؤ في منهج الاستقراء الذي رفضه بوبر في خرافة الاستقراء كما جاءت به فلسفته النقدية العقلانية , لاسيما في قابلية التكذيببالبحث عن مكذبات القضية, وهذا ما يتناسب مع رفض التنبؤ التاريخي والاستقراء على حدا سواء وأنه من غير المعقول ملاحظات بسيطة تعطي نظرية أو قانوناً كلياً.
3- ميز بوبر بين التنبؤ التاريخي والتنبؤ العلمي واراد بذلك تفنيد كل ما جاءت به التاريخانية من تنبؤات زائفة تبرر فيها حدوث الظواهر بعيداً عن المعايير العلمية.
4- الغموض والتعقيد اهم المعرقلات التي تضعف التنبؤات, قد تكون صحيحة منطقياً لكن لا يمكن مطابقتها في الواقع كما في فلسفة بوبر أو التعقيد والفوضى كما هو عند ادغار موران.
5- الاخطار الكونية التي شكلت فلسفة اولريش بيك لا تحيطها التوقعات, سيما الاخطار الارهابية.
6- يرفض بوبر التنبؤ بالمستقبل على اساس معرفة الماضي والحاضر ويتابعه

في ذلك كل من موران واولريش بيك . فالكثير من الظواهر والحوادث التي تحدث هي غير متوقعة ومن الصعب تحديد حدوثها مما ينفي عمل التنبؤ وكل المعلومات التي يمكن ان ترسم المستقبل.

المصادر

١ – إدغار موران. (٢٠٠٤). الفكر والمستقبل(مدخل الى الفكر المركب) (المجلد الاول). (أحمد قصوار ومنير الحجوجي، المترجمون) المغرب: دار توبقال للنشر.

٢- إدغار موران. (٢٠٠٩). الى أين يسير العالم (المجلد الاولى). (أحمد العلمي، المترجمون) الدار العربية للعلوم ناشرون.

٣- افراح لطفي عبدالله. (٢٠٠٦). تحولات السببية(دراسة في فلسفة العلم) (المجلد الاول). بغداد، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.

٤- أولريش بيك. (٢٠٠١). هذا العالم الجديد(رؤية مجتمع المواطنة العالمية). (د. أبو العيد دودو، المترجمون) كولونيا: دار الجمل.

٥- أولريش بيك بيك. (٢٠١٣). مجتمع المخاطر العالمي(بحثاً عن الأمان المفقود) (المجلد الاول). (هند إبراهيم, بسنت حسن علا عادل، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

٦- داود خليفة. (٢٠١٥-٢٠١٦). ابستمولوجيا التعقيد(دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران). كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة وهران٢.

٧- صلاح قنصوة. (٢٠٠٧). الموضوعية في العلوم الإنسانية. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

٨- غاستون باشلار. (١٩٨٣). الفكر العلمي الجديد (المجلد الثاني). (عبدالله

عبد الدائم عادل العوا مراجعة، المترجمون) بيروت، لبنان: الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٩- كارل بوبر. (١٩٩٢). بؤس الايدلوجيا (المجلد الاول).(عبد الحميد صبره، المترجمون) دار الساقي.

١٠-كارل بوبر. (١٩٩٤). الحياة باسرها حلول لمشاكل.(د. بهاء درويش، المترجمون) دار المعارف.

١١-كارل بوبر. (١٩٩٨). المجتمع المفتوح واعداؤه (المجلد الاول). (السيد نفادي المترجمون) بيروت، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر.

١٢-كارل بوبر. (٢٠٠١). أسطورة الإطار. (نوتور مارك، المحرر، و يمنى طريف الخولي، المترجمون) الكويت .

١٣-كارل بوبر. (٢٠٠٦). منطق البحث العلمي (المجلد الاول). الحمراء، بيروت, مركز الدراسات الوحدة العربية.

١٤-مجموعة مؤلفين. (بلا تاريخ). الموسوعة الفلسفية المختصرة. (جلال العشري, عبد الرشيد الرزاق فؤاد كامل، المترجمون) بيروت، لبنان: دار القلم.

١٥-محمد عابد الجابري. (٢٠٠٢). مدخل الى فلسفة العلوم(العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي) (المجلد الخامس). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٦-محمد علي الجندي. (٢٠١١). مجلة اسلامية المعرفة العدد ١٧.

١٧-يُمنى طريف الخولي. (١٩٧٨). فلسفة العلم في القرن العشرين. (الاصول – الحصاد– الآفاق المستقبلية). الكويت: عالم المعرفة.

١٨-يمنى طريف الخولي. (١٩٨٩). فلسفة كارل بوبر (منهج العلم- منطق العلم). الهئية المصرية العامة للكتاب.